

ذكريات في السودان

وجه المشرف على ركن السودان في الاذاعة اللاسلكية المصرية الى حضرة صاحب العزة
الاستاذ الكبير والشيخ المحترم خليل بك ثابت السوال التالي :

« ماهي ذكريات عزتكم الصحفية عن السودان » ؟ تفضل مشكوراً بالجواب التالي :
ذهبت الى السودان في فبراير ١٩٠٣ ، لأسس مطبعة لطبع مطبوعات حكومة
السودان وأنشئ مع المطبعة جريدة باللغة العربية ، هو الأثنتان - المطبعة والجريدة -
تابعتان لإدارة المتظم والمتطف في التصاهرة ، ووفقت الى تأسيس المطبعة بنداات عملها
في شهر يوليو من تلك السنة . وكان صهاها الأولون من مصر ، وبعد ذلك تيسر لي اختيار
جماعة من الشبان والسيبان السودانيين فملمهم أعمال الطباعة المختلفة ، ونجحوا نجاحاً عظيماً
حتى أنه لما زار السير ريموند ونجت السردار والحاكم العام في ذلك الحين المطبعة أعجب جداً
ما شهد من مهارتهم مع صغر سنهم وحدائثهم بالعلم ، واستمر العمل في هذه المطبعة
الى سنة ١٩٢٤ ، فاضطررنا الى بيعها لشركة ما كور كدايل الانجليزية ، بعد ما عملنا أكثر من
عشرين طاماً ، بينما في أثناءها بنى المطبعة لتقام الآن على ميدان عباس

أما الجريدة فعملت أولاً باسم « جريدة السودان » في سبتمبر ١٩٠٣ ، وطبعنا
العدد الأول منها بحضور سمادة السيد علي المرغني باشا والأمير الای ستانتون بك مدير الخرطوم
في ذلك الحين وهو نجل الجنرال ستانتون الذي كان نعتلاً طاماً لبريطانيا في مصر في عهد
الخدوي اسماعيل وهو الذي توسط في شراء أسهم فتاة السويس التي كانت للخدوي اسماعيل
وقد اشترها بأربعة ملايين جنيه بطلب المستر دنر تيلي رئيس الوزارة البريطانية في ذلك
الحين . وكان الثمن أربعة ملايين جنيه على ما أذكر الآن ، وبين الذين حضروا حفلة افتتاح
الجريدة « جريدة السودان » المرحوم البكباشي مبروك فهمي مأمور الخرطوم (بعد ذلك
النواء مبروك باشا فهمي) - وجمهور من أعيان السودان والشبان المتقفين . وبعد ما

صدرت الجريدة العربية في أربع صفحات نحو عشرين أضيفت إليها صفحتان بالانجليزية بناء على طلب الحاكم العام لكي يطلع كبار الموثقين الانجليز على ما ينشر في باب النقد وباب الاقتراح وغيرها .

وفي صيف ١٩٠٧ اضطررت الى مغادرة السودان بسبب حالة زوجتي الصحية وتركت العمل في يد المرحوم الاستاذ لبيب جريديني والاستاذ اسكندر مكاربوس من ابناء اصحاب السمل وكانت هذه المطبعة وهذه الجريدة أول مطبعة وأول جريدة أنشئت في ذلك العهد الى الجنوب من القاهرة . ولما زار اصحاب الصحف المصرية وعملوها الخراطيم مع المرحوم التورد كروس للاحتفال بسكة حديد عطبرة - بورسودان وميناء بورسودان - زار حضراتهم مطبعة السودان وكان إعجابهم شديداً بنظام المطبعة ، وحسن أدواتها وآلاتها ، وقد جلبت كلها بنظام واحد من أحدث معاني بريطانيا .

وعرفت في من عرفت في السودان في أثناء اقامتي فيه - ولقد لقيت كل حناية ورعاية من الشعب السوداني في جميع طبقاته - المرحومين الزبير باشا رحمت العباسي والشريف يوسف الهندي والشيخ ابراهيم ناظر الجليلين والشيخ الطيب هاشم مفتي السودان وشقيقه شيخ العلماء الشيخ أبو القاسم هاشم ومحمد بك حسن مرتجبار أم درمان والشيخ مذكر الحجاز لوأحمد عثمان القاضي وكثيرين غيرهم . ولم يكن معادة السيد عبد الرحمن المهدي باشا قد برز الى الامام كما فعل بعد ذلك

وكانت كلية غردون في أول عهدها ، وكان ناظر القسم الثانوي فيها الاستاذ احمد هدايت بك والمدير العام لها وللمعارف المترجمين كرى (بعدئذ السير جيمس كرى) وعرفت من رجال حكومة السودان في ذلك الماين علاوة على الحاكم العام والسردار السير ومجناد ومجت والكولونيل تيمون الكرتير الملكي (السكرتير الاداري) والمستر بونهام كارتير الكرتير اتقاضي (السر ابحار بونهام كارتير فيما بعد) والمستر وايزي ستيري قاضي القضاة المدنيين والكولونيل فييس وبرنارد باشا الكرتير المالي وهنري باشا وآسر باشا وغيرهم من كبار الضباط والحكام الانجليز والمرحومين الشيخ محمد شاكر قاضي قضاة السودان الاول ونسيه الشيخ محمد هارون وقد خلفه فيما بعد ، والشيخ محمد مصطفي المراغي قاضي القضاة

وشيخ الجامع الأزهر فيما بعد وغيرهم من رجال الشرع المصريين والسودانيين ، وسميد شقير باشا ، وشاهين جرجس بك ، و إبراهيم تيمتري بك ، وصموئيل عطية بك ، ولعموم شقير بك (مؤلف كتاب تاريخ السودان) وغيرهم من كبار المؤلفين الشرعيين . ولم يكن الشبان السودانيون قد شرحوا يتولون المناصب الكبيرة لتقرب عهدهم بالتعليم المدرسي ، وقد أصلح هذا الأمر فيما بعد .

ومع ان الأحكام في السودان كانت في ذلك العهد في مظهرها الخارجي شبيهة بالأحكام العسكرية - وإن لم تكن كذلك - فقد كانت الجريدة حرة فيما تكتب وما تنشر ، لا رقابة عليها من جانب الحكومة بل كانت تنشر أحيانا أموراً لا يرتاح اليها رجال الحكومة ، وهذا ما أذكره بالشكر والتقدير للسير ويجلد وينجت باشا ، والسياسة السديدة التي كان يجري عليها ، وأذكر أنني مرة أفشيت عن غير قصد سر حملة عسكرية كبيرة كانت مرسلة من الخرطوم الى بلاد سلطان نيام نيام لتأديبه وتأديب قبائله فخطت الحملة وضاعت أمoral كثيرة ، وأقلق بال وزارتي البحرية والخارجية في لندن والورد كرومر في القاهرة ، ومع ذلك لم يجاوز موقف حكومة السودان في الموضوع عتبا رقيقا من جانب الحاكم العام لي ، وايضا للضرر العظيم الذي أحدثه نشر الخبر في الجريدة وكانت اتاني في الخرطوم مدة خمسة أعوام مقرونة بالسرور والاعتباط بما لقيت من رماية رجال الحكومة من شرقيين وأوزيين وما أصبت من حسن ظن اخواني السودانيين ولا سببا أعيانهم وكبراهم وذوي الرأي منهم .

وما زلت متعلقا بالسودان ، أحبه كوطن من أوطان العربية العريضة ، وقد حافظت على صلتى المادية به ، فلون لي أرضا وبيتا في الخرطوم ، أبيت ببعضها ، وأرت ابقاءها في حيازتي كصلة وثيقة لي بالسودان . وقد زرت السودان بعد نخلي عن العمل فيه مرتين كانت أخيرتهما في سنة ١٩١٣ ، فرأيت فيه مظاهر التقدم الكبير في شوارع الخرطوم وميادينها وما جدت من شوارع أم درمان والكبري الجديد على النيل الأزرق ، والمعدية البخارية بين الخرطوم وأم درمان ، والنرامواي الكهربائي في الخرطوم وأم درمان ، وعملية الكهرباء في الخرطوم ، الى آخر مظاهر الاصلاح التي يشهدها المرء الآن ويشهد غيرها في تلك المدينتين وسائر مدن السودان . وهذا علاوة على مظاهر التقدم الأدبي والعلمي والثقافي في طبقات الأمة السودانية

واني لسأل الله أن يتبع لي زيارة هذا الوطن لاشهد فيه أضعاف ماشهده في زيارتي الأخيرة واجيا لسودان العزيز وأعله الكرام انفراد التقدم والنجاح في جميع ميادين الحياة والعمل .